و للروح ارتواء

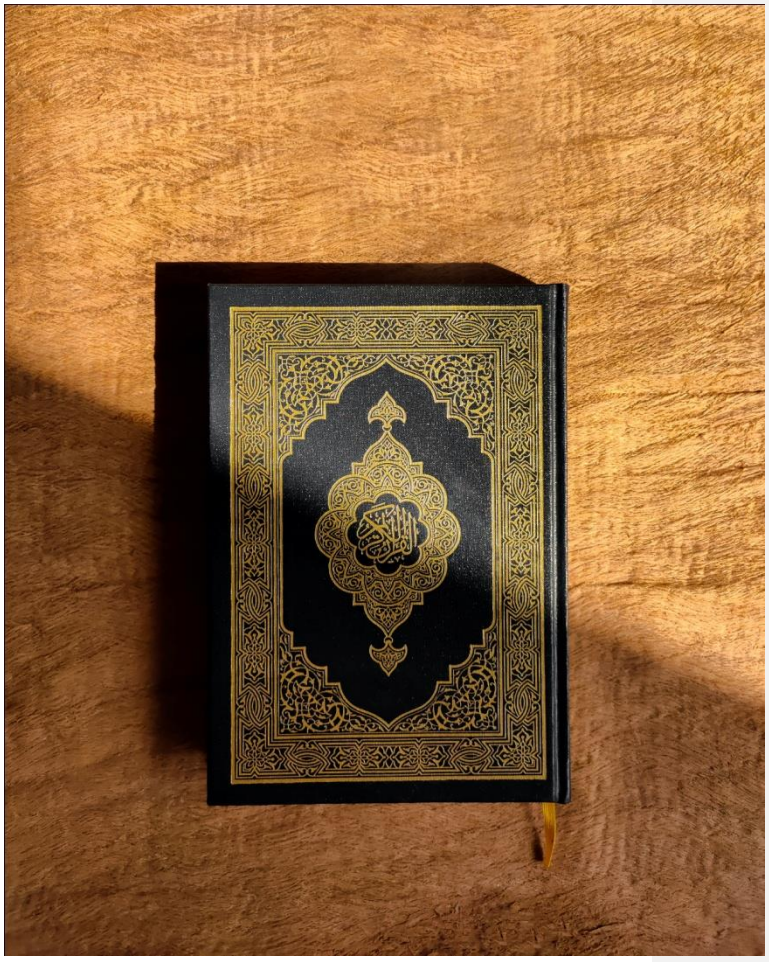

تفريغ محاضرة

# واجبنا تجاه كتاب الله

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٢٣-٠٦-١٤٤١ هـ

# واجبنا تجاه كتاب الله وسنة رسوله

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أما بعد:

فحديثنا اليوم هو متمّم للجزء الأول الذي أخذناه الأسبوع الماضي فالتي ما سمعت الدرس الأول يفترض أن تسمعه، والحديث لا زال حول واجبنا تجاه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،

وإذا تذكرون أخذنا في البدء قول النبي عليه الصلاة والسلام لمجموعة من الصحابة وكان من ضمنهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، قال : «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ»([1]) وكان النبي عليه الصلاة والسلام يخبر عن فترة قادمة ستأتي على هذه الأمة سيكون فيها من لا يتحدث فقط بلغة القرآن و يناقش في قضية هل هذا النص موجود أو غير موجود، **ولكن يناقش في معنى النص، وفي تحريف التفسير والتأويل في هذه النصوص الشرعية،**

لذلك قال الله عزّ وجلّ عاتبًا على بني إسرائيل ومحذرًا من أن ننهج مثلهم قال الله عزّ وجلّ عنهم :(يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[البقرة: 75] إذن عاب الله عزّ وجلّ على بني إسرائيل هذه الصفة فيهم أنهم يسمعون كلام الله فيعرفون أنه كلام الله لكنهم يحرفونه من بعد ما عقلوه، فإذن هم يدخلون في قضية تحريف النص، وقد قلنا قبل قليل أن كلمة التأويل لما تأتي، قال النبي صلى الله عليه وسلم :( إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله) القضية أنه سيأتي أقوام يحرِّفون هذا النص، ومعنى كلمة تأويل تعني تفسير، فهم عوضًا عن أن يقولوا لك: نحن سنحرِّف المعنى، يعطونك كلمة مخففة: هذا تأويل نص، كأننا نقول هذا معنى النص، وهو معنى غير مراد الله عزّ وجلّ ورسوله.

طبعًا النبي عليه الصلاة والسلام فيما أخذنا من الدرس الماضي أوصى في ذاك الحديث الذي قال عنه الصحابة :(يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟، قال: .... فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، ...)([2]) -قال قبلها هذه الجملة-:(مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا) إذن واضح أنه سيكون هناك نوع من الاختلاف في التعامل مع هذه النصوص الشرعية، لذلك قال (عضُّوا عليها بالنواجذ) **وكلمة العض عليها بالنواجذ: كأنك تمسك بشيء وتخاف أن يفلت منك**، ولو أراد النبي عليه الصلاة والسلام لقال تمسّكوا أو اتبعوا، لكنه لم يفعل وإنّما قال: عضُّوا، ومعناها ضعها تحت أسنانك وعضّ عليها بهذه الشدة،

أيضًا النبي عليه الصلاة والسلام قال حديث عن أولئك الذين ينفون وجود السنة أساسًا أو الاستشهاد بالسنة أو يقولون لك: أنا ما أؤمن بصحيح البخاري ولا بمسلم ولا بكل هذه الأحاديث، لأني لا أضمن هل هي

1() أخرجه ابن حبان، وقال الألباني: صحيح.

2() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.

صحيحة أم ليست كذلك! أنا لا أصدق إلا بما هو موجود في كتاب الله، كتاب الله :( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[الحجر: 9] الله حفظ القرآن، وأنا سأتبع القرآن فقط. ماذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ ، فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا حَرَّمَ اللهُ .[400/4](3)

من أين نأتي بهذا الكلام؟ الله عزّ وجلّ أنزل في القرآن في آية تتلى ومحفوظة إلى يومنا هذا: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[الحشر: 7] إذن ليست القضية بهذه البساطة نحرّف هذه النصوص عن معناها الذي أنزله الله من أجلها، أو تحريف الأحاديث التي جاءت في نص النبي عليه الصلاة والسلام.

ثم أخذنا مجموعة من المواقف عن السلف، ابتدأنا بالصحابة رضوان الله عليهم كيف كانوا يتعاملون مع النص القرآني والنبوي، وكيف لما يقال قال الله كيف كان ينتفض لها أبو بكر، كيف كان عمر وقّافًا عندها، ومضينا في مجموعة من التابعين ومن بعدهم إلى الإمام مالك والشافعي وغيرهم من العلماء في وسط القرون، فإذن من عصر الصحابة ثم التابعين ثم غيرهم من العلماء.

ورأينا تلك النصوص حينما يأتي الشافعي ويقول له أحدهم ما رأيك في المسألة الفلانية؟ فيفتي بها بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فيقول قال رسول الله أو قضى بها كذا، فيقول له رجل: وأنت ما رأيك يا أبا عبدالله؟ فانتفض الشافعي له وقال: أتراني في كنيسة؟ أتراني في بيعة؟ أترى في وسطي زنّارًا -وهذا لباس أهل النصارى- أقول لك ما قال رسول الله وتقول ما رأيك؟!، وهو الإمام الشافعي والذي أُلفت الكتب في عبقريته، وهو من أصل القواعد في هذا الدين.

إذن رأينا كيف كانت مواقف السلف في احترام النص، واحترام النص القرآني وكيف كانوا يتعاملون معه، وكيف كان الصحابة والعلماء يتعاملون معه، وأخذنا النقيض تمامًا، أولئك الذين يفتون في دين الله بغير علم، ويؤولون النصوص على غير ما جاءت به، فقالوا: الصوم هو كتم الأسرار!، والحج هو حجك العقلي والروحي، والصلاة لا حاجة لخمس صلوات نجعلها صلاتين، ثم يأتي أحدهم ويقول: وكل نص جاء به محمد - ولا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم- يمنعنا من التمتع بشهواتنا فخذ هذا النص ومِل عنه -يعني ارمه وراء ظهرك!-

هذا الإنسان ليس أي إنسان وإنما هذا الإنسان يعتبر من مفكري هذا العصر، ومن الناس من يقرأ في كتبه ويتابع برامجه وابتُليت هذه الأمة بأمثالهم! وأخبرنا عن الذي تكلم عن الحجاب وقال: ما معنى الجيب وما معنى الخمار وما معنى التغطية؟ الجيب يعني طبقتين، يعني أي شيء مكون من طبقتين بالجسم فهو الذي يغطَّى فقط، إلى أن وصل بقوله جيوب سفلية وجيوب علوية فهي التي تغطى! يعني سواء لبستِ "الشورت" أو لبستِ تنورة تصل لنص الفخذ ومن الأعلى عارية ومن الأسفل عارية في عرف هذا الإنسان

3() أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.

الذي أوّل القرآن كما يريد: أن هذا جائز! طيّب أين الستر وأين الحشمة والطهارة والعفاف؟ هذه أمة محمد التي أُنزل عليها القرآن أم لا؟! هذا كله مما أخذناه في الدرس الماضي وأخذنا ما الذي يعنيه أن نحرّف هذه النصوص، وأخذنا من الطرفين كيف كان الصحابة والسلف يعظمون هذا النص، وكيف كان الآخر!

## مآلات التأويل الباطل للنصوص القرآنية

دعونا نبدأ اليوم في: ماذا سينتج عن هذا التوجه لو سُمح له بأن يتمدّد؟

لو صارت موضة بين الناس، كلٌ يقول في القرآن بهواه! وما الذي سيحدث لو نحن قلنا يا جماعة دعوا الناس يفكرون بعقولهم ويجلبون تفسير جديد للقرآن، لماذا نحن معتمدين فقط على تفسير ابن كثير أو الشيخ السعدي؟

ولاحظوا أنا لا أتكلم عن تأملات ولا خواطر ولا إنسان يستفيد تربويًا من القرآن، هناك كتب أُلفت في هذا الجانب، وهذا خارج عن النقاش. أنا أتكلم عن التي تريد أن تعيد هذه النصوص القرآنية إلى أن توافق هواها أو توافق شيء من العصر الذي نعيشه بنوع من الترخص، فكأنهم يتكلمون عن إسلام جديد! ماذا ينتج عن هذا؟ لو كل واحد منا فكّر أن يبدأ بالتكلم في القرآن بغير علم، دون أن يتعلم اللغة العربية، ولا يرجع إلى تفسير الصحابة حتى يفهم ما يُراد، يعني أنا عندي عقل وأريد أن أفهمه! الذي سيحصل:

1-أنه سيُلغى العمل بهذا القرآن بالكلية، لماذا يُلغى؟ ليس لأن القرآن سيُمحى، لا القرآن سيبقى موجود ويكون في كل بيت، لكن الذي سيُلغى أن تجد الناس تتعامل مع القرآن باتخاذه منهج حياة أو تستهدي به، هذا الذي سيحصل!

لأنني لمّا أقرأ القرآن لا أعرف كيف أفهمه على أي طريقة، ولا أعرف أنا سأفهمه من عندي وما وافق هواي أو من سيشرح لي هذا القرآن! طيّب هل الفهم الذي فهمته صحيح؟ سيأتيك أحدهم بقوله: فهمكِ الذي فهمتيه غير صحيح، بل المراد به كذا. فما الذي سيحصل؟ سيصير الناس يتعاملون مع القرآن ليس على أنه هو الهادي وشفاء، الشفاء ليس من السحر والعين فقط، بل نحن نستشفي فيه حتى من شهوات قلوبنا، ولذلك القرآن هو شفاء لأمراض الروح والجسد، جاء في الحديث عن أبي الدرداء قال: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ» فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا القُرْآنَ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟»)[4]

4() -أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.

فالتوراة والإنجيل ما زالت موجودة ويرتلونها في كنائسهم وفي معابدهم، وما زال عندهم قساوسة ورهبان وكهَّان **لكن أين الدين؟ الدين ذهب**؛

لأنهم حرّفوا نصوص التوراة والإنجيل على غير مراد الله وهذا ما يريدون فعله بالإسلام. ولذلك هم وصلوا إلى أنهم صاروا يفعلون في كنائسهم ما حرّم الله عليهم فقط لاجتذاب الجمهور، فيُزوّجون الشواذ، ويبيحون الإجهاض وقتل النفس وغيرها لمجرد استقطاب الناس ولا تُهجر هذه الكنيسة،

**إذن لا يمكن لوجود القرآن برسمه فقط أن يحفظ هذا الدين، ولكن لابد أن يحفظ رسمًا ومعنى**. ولذلك لمّا نقول يُلغى العمل بالقرآن تأتيك واحدة تسألينها: أنتِ تستمعين للأغاني؟ تقول لا والله ما أسمع، تسألينها لماذا لا تستمعين للأغاني؟ لأن عندنا نص قرآني واضح يقول الله عزّ وجلّ بعد ما أثنى على كتابه جاءت الآية بعدها مباشرة في صنف من الناس في سياق الذم :( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)[لقمان: 6] وجاءت بروايتين (ليُضل) و (ليَضل)، لهو الحديث معناها كما قال ابن مسعود: هو الغناء. قال ابن عباس -ترجمان القرآن-: هو الغناء. قال ابن مسعود في رواية أخرى: والله الذي لا إله إلا هو الغناء -ثلاثًا-.

الآن لمّا نقول غناء ثمة فرق عن لما نقول نشيد أو حداء ونحن نعرف الفرق، تلك يصاحبها مزمار ومعازف إلى آخره. يأتيك أحد لا يعمل بنص القرآن ويقول: ما شأني بكلام ابن عباس؟ ما شأني بكلام ابن مسعود؟ هم ليسوا جيرانك ليسوا مجرد أناس في الشارع يمشون! ابن عباس ترجمان القرآن، أنت تتكلم عن صحابة نزل عليهم القرآن في ذلك الوقت وهم أعلم الناس فيما نزل، لمّا يفسرونه ولمّا يحلف بالله هذا الصحابي الذي اصطفاه الله لصحبة نبيه معناها أنه لا يُألف على كلام الله عزّ وجلّ ولا يُألف على نبيه ولا يمكن أن يحرّم حلالًا أحلّه الله عزّ وجلّ.

الشاهد أنك لمّا ما تعمل بالنص القرآني وتأتي إلى مثل هذه الكلمة ونحن نحتاج إلى فتوى، يُقال لك: لا والله أنا ما فهمت لهو الحديث على أنه الغناء، أنا سآخذ بما أراه، وقيسي على هذا وهلمّ جرًّا في آيات تحريم الزنى، في آيات تحريم السرقة...

**ولذلك مهم أن نعرف أن أول نتيجة خطيرة في هذه الموضة وهي قراءة النص وفق الأهواء والعقول فقط هي أننا سنلغي العمل بهذا القرآن.** وتخيلي غدًا ما الذي ستربين أبناءك عليه؟ الأجيال على ماذا تنشأ إذا ما كانت تُعظّم كلام الله؟ نحن لا نُعظم القرآن كصفحات ولا نتبرك فيه بوضعه فوق رؤوسنا مجرد التبرك، نحن نعظم ما فيه كلام الله ونأخذه لحياتنا.

2-<u>يُلغى الفهم الصحيح للدين</u>، **لأننا طالما ألغينا القرآن فمعناها أننا سنلغي الفهم الصحيح للدين**، ونصبح نحن لا نفهم هذا الدين أساسًا ونظن أنه شيء مختلف، ودعوني أقول لكم مثال على واحد من بني جلدتنا ويتكلم بلساننا، عربي يلبس ثوب وغترة وغيرها يكتب: "أن محمدًا جاء ليصحح أخطاء الجاهلية، وآن الأوان لنصحح أخطاء محمد!" حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو يسمع هذا الكلام من أمته وهو الذي

ينتظرنا على الحوض، ولمّا يتخلف الأنبياء عن أن يكلم أحدهم الله عزّ وجلّ يذهب النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فيسجد تحت العرش ويطيل السجود ويثني على الله بمحامد لم يسمع بمثلها في يوم وقف الناس فيه خمسين ألف سنة ثم يقول الله له: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى، فلما يرفع رأسه لا يسأل لنفسه ولا يسأل لأحد ولا لفاطمة ولا لأحدٍ من أهله وإنما يقول: يا رب أمتي أمتي، ثم ينتظر النبي عليه الصلاة والسلام أمته على الحوض بعد الصراط ويسقيهم من ماء ذلك الحوض،

في ذلك يقف النبي عليه الصلاة والسلام ويعرف أمته أنهم يأتون غرا محجلين من أثر الوضوء من أثر الصلاة والوضوء، فلما يراهم يناديهم وسط زحام الناس وأمم من عهد آدم عليه السلام، فلما يرى واحد من أمته يناديه إلى الحوض فتأتي الملائكة فتصرفه عنه، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام: أمتي أمتي، فيقولون له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك!، أشكالهم أنهم من أمتك لكنهم ليسوا من أمتك!،

إذن النبي عليه الصلاة والسلام والذي قاتل قريش والعالم كله ليصل القرآن إلينا غضا طريا كما أُنزل عليه، الآن يأتي واحد ويقول: هذا أوان أن نصحح الخطأ الذي جاء به محمد؟! فلما نأتي إلى أمثال هؤلاء ويقولون لك نحن لا بد أن نعيد ونفكر بإسلام ثانٍ لأن الإسلام الذي نزل قبل قرون ما عاد يناسبنا!، هل اختلفت البشرية؟ اختلف جنس الإنسان؟ ما الذي حصل؟ البشرية ما زالت نفسها! الحق والباطل نفسه! الإنسان هو نفسه!

إذا اختلفت موازين التقنية فهذا ليس بشيء، أما ما قاله الله عزّ وجلّ وقال رسوله فهو كما هو. لذلك الله سبحانه يقول: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[آل عمران: 85] إذن لما هؤلاء يفهمون الدين ويريدون أن يُفهموا الأجيال من بعدنا أن هناك دين مختلف بخلاف الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذا الدين ما يقولون فيه أن الصلاة ليست واجبة -وأنا اقتصّ هذا من أحد مؤلفاتهم- "الصلاة كانت واجبة لأن العربي يوم من الأيام كان عربي ثائر وغير مُليّن وأما الآن فلا نحتاج الصلاة ويكفي عنها ممارسة اليوغا!" واسم الكاتب محمد! ويوضع بجانبه أيضًا "مفكر إسلامي"!

نتكلم عن هؤلاء الذين يتكلمون بألسنتنا ومع ذلك منهم من يقول لا حاجة لنا في الصلاة! ثم يأتيك واحد ويقول: الحج ما عاد طقوسًا نذهب ونلف ونضرب الحجرات يعني هذه كلها طقوس أيام الجاهلية، فالقرن العشرين من العيب أن يرونا نحج بهذه الطريقة. طيب كيف نحج؟ قال: "الحج هو الحج العقلي"! تجلس وتتأمل في السماء، أنت تحج بعقلك وبروحك ،ولكن لا تحج كما حج محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك شيء مهم أن نعرف أن أمثال هؤلاء عندهم مشكلة في هذا الدين ويريدون أن يفهمونا إياه بطريقة أخرى.

نأتي لمسألة شائكة عندنا نحن النساء وهي قضية تعدد الزوجات، طبعا هؤلاء ليس عندهم شيء اسمه تعدد زوجات وكان ذاك أيام الجاهلية وعند العرب وقريش، طيب طالما الله أباحه يعني أكيد شيء ما في المجتمع لن يصلح، بوابة في المجتمع تكون موجودة من الحلال لصد الحرام، يأتون هم ويقولون لك: لا فالإنسان المتحضر المفترض الرجل يكتفي بواحدة وهي تكتفي بواحد، منعنا التعدد لأنه لا يليق ونحن في 2020 ولا زلنا نتكلم عن تعدد وغيره وهذا تخلف!

ثم صاروا لاحقًا يقولون طيّب لو أراد الإنسان أن يؤنس نفسه قليلًا، ها من أين سيأتون بمخرج الآن؟ يأتي شخص آخر "مفكر إسلامي" -الآن هم منعوا التعدد وقالوا حرام- يأتي ويقول :"يتحتّم حصر معنى الزنى بالعلاقات الجنسية بين رجل وامرأة أحدهما متزوج" فلو كان أحدهما متزوج فهذا معناه الزنى ولو كان الاثنان مراهقين هذا لا مشكلة فيه هؤلاء أصدقاء،

هذا المفكر الإسلامي فهم الزنى من عنده بهذه الطريقة، ويأتي واحد آخر ويرد عليه ويقول: لا، نحن بهذه الطريقة ضيقنا على الناس كثيرًا، هكذا ضيقنا يعني إذا أنا تزوجت ما أستطيع عمل شيء! فماذا سنفعل الآن؟ فيأتي ليقول: "أن الزنى ما كان بالإكراه فقط، أما لو بالتراضي فلا يعتبر زنى" فحتى لو كان الاثنان متزوجين وقرر كل واحد منهما أن يفعل الفاحشة بالتراضي فلا حرج!

إذن، منعتهم الحلال الذي أحله الله عزّ وجلّ ثم أخذتهم وأغرقتهم في بحر، لأن الناس لها حاجات فلما ما عرفتم كيف تسوونها أخرجتم لنا مجموعة من الأشياء التي هي عبارة عن خيانات زوجية وتلوث واختلاط أنساب وغيرها!

ولذلك في النهاية حتى يصلون لهذا الدين الذي يريدونه ، قالوا: يا جماعة الإيمان ليس هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، كثير أن نؤمن بهذا، يقولون لك من قال لك كتبه ورسله والقدر فهذا معناه أنه لن ينجو إلا المسلمون! هذا كلام فارغ يعني إخواننا من اليهود والنصارى ماذا نفعل بهم؟ فيقول: لا، الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر، لأن اليهود والنصارى يشتركون معنا فيه،

طيب هل اكتفوا إلى هنا؟ عندما يدخل تحكيم العقل في التفسير لا يتوقّف عند حد، فيأتي آخرون بعدهم بسنوات يقولون نحن لماذا نجعل اليهود والنصارى فقط هم الذين يشتركون معنا؟ طيب حرام والبوذيون؟ والذين يعبدون البقر؟ والذين يعبدون الفئران؟ يا جماعة هؤلاء عندهم آلهتهم يحترمونها! حتى هؤلاء لا يدخلون الجنة؟! حرام نحن بهذه الطريقة ما أدخلنا أحد إلا المسلمين والموحدين،

طيب وأنتم ماذا تقولون؟ ما هو الإيمان؟ قالوا :"الإيمان بالله وبالاستقامة" والاستقامة عندهم الخير، يعني تؤمن أن الكذب غير جيد والصدق جيد، وتكون إنسان سليم بالعموم، طيب معناها هم يبشرون بدين آخر ليس له علاقة بالدين الإسلامي ولا بالذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك يقول صلى الله عليه وسلم : «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ» ([5])

النبي عليه الصلاة والسلام كان يعرف بالذي سيحصل. تعالي إلى واحدة من جداتنا وتناقشي أمامها ستقول يا الله ما الذي تقولونه؟! نحن بالنسبة لها كأننا نقلب الأبيض أسود والأسود أبيض، ويقول عليه الصلاة والسلام : «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ» ([6])

5() أخرجه مسلم، صحيح.

6() أخرجه مسلم، صحيح.

ولاحظوا لما يقول "لا يضلونكم ولا يفتنونكم" لأنه ليس بالأمر السهل أن ترعي سمعك لأي أحد أو ترعي سمعك لإنسان يؤلف في دين الله عزّ وجلّ وفق هواه.

والإنسان في الحقيقة يعرف، **لما تسمعين شيء وينتفض قلبك تقولين كيف يتكلم هكذا عن الله وعن الرسول وعن جبريل نفضة قلبك هي فطرتك السليمة!** هذا الشيء الصحيح الذي تحسين به من الداخل، فليس من السهل أن تفتحي برنامج أو مقطع لأي أحد، ثمة من الناس من يقول لك لا المعذرة نحن نعرف الصح من الغلط ودينا ليس بضعيف لدرجة أن أحد يشكك فيه،

**أحيانًا الشُّبَه خطّافة**، إذا ما كنتِ مهيأة وعندك العلم فتأتيك الشبهة وما تأتي وحدها للأسف هي تأتي ومعها شياطينها، ويجلس طوال الليل يحركها عندك، لو كان هذا الكلام صحيح؟ ويبدأ يحركها الشيطان فيك ويدخلك في دوامة بالكاد تخرجين نفسك منها،

ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام **قال عن الدجال أنك إذا سمعت به فلا تأتِ إليه**. طيب لماذا النبي يخاف علينا وصورته معروفة عندنا قال عليه الصلاة والسلام: «ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر»[7] وجاء في رواية أخرى: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ»[8] الآن المعلومات والصفات الخاصة بالدّجال نعرفها، كم واحدة منا تضمن إذا رأت الدّجال وامتحنها هذا الامتحان وأمرها بأن تقذف نفسها في النار ستقول له أدري أن هذه النار جنة وأنتِ ترين النار تشتعل أمامك؟ من منا سيقوم بهذا الامتحان ويرمي نفسه في هذه النار؟

فالإنسان لا يختبر إيمانه، وإنما إذا عوفي فإنه يحافظ على قلبه

تمامًا مثلما نعرف أن الطاعون عندما يكون بأرض ما فلا يجوز أن نذهب إليها، ولا نقول لا أنا مؤمنة وأنا لن يحصل لي شيء وتذهبين لأرض فيها طاعون، هذا الأمر هو من السنة، النبي عليه الصلاة والسلام قال : «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، ...» [9] وهذا ليس فقط في المرض الجسدي وإنما حتى في المرض الحسي،

طيب كيف نفهم؟ هتان نتيجتان خطيرتان لو سمحنا لهذا الفكر أن يتخلل أو نسمح فيه بمجالسنا أو حتى في أي برنامج أنتِ تتابعينه أو حتى في نقاشات مع أبنائنا أو غيرهم.

7() أخرجه البخاري، صحيح.

8() أخرجه مسلم، صحيح.

9() أخرجه البخاري، صحيح.

## إذن، كيف نفهم نصوص القرآن؟

1- لا نفهمها بمجرد تحكيم أهوائنا وعقولنا، وإنما نفهمها كما فهمها سلف الأمة. لذلك في كتب العقيدة تجدون جملة مكتوبة من أين نحن نستمد شرعنا؟ "**نؤمن بما جاء به الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة**" يعني كيف فهموها هم لمّا نزل عليهم القرآن،

وحتى نعرف هذا الكلام، مهم جدًا أن تتخيلي موقف حصل: دخلتِ البيت وإذا البيت كله مكهرب. ما الذي حدث لكم يا جماعة؟ يقولون لكِ: أبونا قال لا أحد يخرج خارج هذا البيت، أول شيء ستقولينه: ما الذي حدث؟ هذا الشيء الطبيعي الذي ستقولينه، فسيقولون لك حدثت مشكلة وصار كذا وكذا وأبونا صرخ وقال لا أحد يخرج خارج البيت. جاء الغد وعندك مدرسة، تتساءلين الآن أذهب إلى المدرسة أم لا؟ طيب مدرسة هل أخرج أم لا أخرج؟ فيقول لك أحد من الذين كانوا حاضرين: لا يا بنت الحلال اخرجي، أبونا يقصد ألّا أذهب أنا لأصدقائي وأنتِ تذهبين إلى مكان آخر. طيب من الذي فسر لك النص هنا؟ من الذي فسر لكِ الأمر؟ الناس الذين حضروا المشكلة والذين يعرفون والدك لماذا قال هذا القرار. أمّا إن قال لا أحد يخرج خارج البيت، لكان معناها لا أحد يذهب إلى المدرسة، ولا العمل ولا أي مكان! ولكن لأنه يعرف السياق الذي نزل فيه.

**إذن القرآن الكريم حتى نفهمه يجب أن نعرف الناس الذين نزل عليهم، وكيف نعرف القرآن من غير أسباب النزول؟** سبب النزول والناسخ والمنسوخ وماذا جاء قبل ماذا، ما نتكلم بالقرآن بأهوائنا وفق فقط أنفسنا،

لذلك قال الله عزّ وجلّ : ( وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا )[النساء: 115] بمجرد أن تتبع غير سبيل المؤمنين . وهذا نص على أن نفهم كما فهم سلف الأمة،

ولما نقول السلف والصحابة يعني ليسوا بأي أناس، الصحابة كما أن الله اصطفى رسوله صلى الله عليه وسلم اصطفى من حوله، ولماذا يصطفي من حوله؟ لأن هؤلاء الصحابة هم من بلّغ الدين بعد رسوله. فالله لم يختر أناسًا كذابين ولم يختر أناسًا ليس لهم عدالة وإنما اختار هؤلاء واصطفاهم ورضي عنهم.

ولذلك لمّا يأتِ الحديث وتكون الرواية فيها واو أو فاء فالصحابي يوقف هذا الإنسان الذي روى الحديث ويقول له: "**اتقِ الله إنما قال رسول الله واو**" وينص له الحديث! وكانوا يسافرون من بلد إلى بلد يعني يسافر من فلسطين إلى العراق ليسمع حديثًا واحدًا مباشرة،

لذلك ما يأتِ إنسان الآن ويقول لكِ أنا والله ما أؤمن بالحديث! لكل حديث قصة حياة منذ أن خرج من شفاه النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن مسك أذنك. وكل إنسان روى هذا الحديث معروف سنة ولادته وسنة وفاته ومَن شيوخه وهناك كتب للطبقات والجرح والتعديل عامرة فقط بمن يروي هذا الحديث وهل هذا السند صحيح أم ليس بصحيح،

فما نأتِ نحن بعد زمن ونقول والله لا نعرف صحيح البخاري هذا صحيح أم لا، ولا أعرف إذا الأحاديث صحيحة أم ليست كذلك، هناك جنود الله عزّ وجلّ جعلهم يخدمون الحديث إلى يومنا هذا، التطبيقات التي تضعين فيها فقط طرف الحديث ويقوم بسردها لكِ، هل هو صحيح أم ضعيف وهذا بناء على تلك الجهود الأوائل التي سبقت.

**إذن الذي يتبع ويفهم هذا القرآن بغير فهم سلفنا فهو يتقوّل على الله عزّ وجلّ بما لم يقله**، قال النبي عليه الصلاة والسلام :(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فجعل الخيرية في القرون المفضلة ثم في كل واحد على اختلاف التفاصيل.

والصحابة أعظم الناس في فهم مراد الله عزّ وجلّ، فلما جاء الصحابة في القرن التابعيّ وذهبوا في واحدة من الغزوات وكان فيهم الصحابي أبو أيوب الأنصاري فابتدأت المعركة وواحد من المسلمين انغمس في صفوف العدو راح مباشرة لوحده يقاتل، فقام الجيش يقولون لقد ألقى بنفسه إلى التهلكة.

قال أبو أيوب الأنصاري: أيها الناس إنكم تقولون هذه الآية في غير ما أنزلت به وإنما أنزلت فينا نحن معشر الأنصار لما كثر الناس المؤمنون بالنبي عليه الصلاة والسلام قالت الأنصار: لو أننا جلسنا عن الغزو والتفتنا قليلًا إلى مزارعنا وتجارتنا ورسول الله يقاتل مع من يقاتل، فأنزلت هذه الآية على رسول الله ولو تعرفون ما بداية هذه الآية :( وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)[البقرة: 195] فقال أبو أيوب: **إنما منعنا منع النفقة وعدم اشتراكنا في الجهاد هي التهلكة.**

طيب لو ما كان عندنا هذا الصحابي الذي شرح لنا هذه الآية وفيما أنزلت لربما فهمناها على غير فهمها، وفي الآية العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولكن أيضًا هي آية يستشهد بها على أن الإنسان ما يلقي بنفسه إلى التهلكة، ولكن أي تهلكة؟ هي أنك تصطفي الدنيا على الآخرة، وأن تختار الدنيا على الآخرة.

فلما نعرف أن الصحابة هم الذين يعرفون مراد هذا الكلام فمعناه لما نأتي نريد أن نأخذ حكم، نريد أن نسترشد بالقرآن فيجب أن نذهب لتفسيرهم هم. ولذلك لما تقرأين في تفسير ابن كثير أو السعدي أو غيره، تجدين أول شيء يقولونه هو كلام الصحابة الذين فسروا هذا التفسير، ابن عباس وابن مسعود أو غيرهم تجدين هذا هو أول شيء يضعونه، بعده يقولون لكِ كلام التابعين، بعده يقولون كلام الأئمة، هذا الترتيب هو الذي نفهم به النص القرآني.

ولذلك قال ابن تيمة -رحمه الله-: "**من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين ، فهو مفترٍ على الله ملحد في آياته محرف للكلم عن مواضعه وهو فتح لباب الزندقة والإلحاد**"، فما هو بالأمر البسيط أن نفسّر كتاب الله وشرعه وفق أهوائنا.

2-<u>لا بد أن يكون لنا علم باللغة العربية</u>. قال الله عزّ وجلّ في غير آية في كتابه :( إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[يوسف: 2]، (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[فصلت: 3]، (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الزخرف: 3]

تخيلوا هذا الكم الهائل من الآيات التي تقول أن القرآن نزل بلغة عربية، ولذلك قال الحسن: "**أهلكتهم العجمة، يتأولونه في غير تأويله**" والعجمة هي لوية اللسان، فهو يتحدث بأي لغة ثانية فلما يأتي يتكلم باللغة العربية يتكلمها بطريقة مكسرة.

خذي مثال على هذا، حينما قال الله عزّ وجلّ :( يَأْتُوكَ رِجَالًا) [الحج: 27] فهمها من لا يفهم العربية، أن "رجالًا": هم الذكور، فصارت هناك طقوس في بعض البلدان العربية لما تكون عقيقة البنت يضعون الشوكولاتة من فوق وعليها كلمة "يأتوك رجالًا" يقصدون بذلك أن "يأتي العرسان" لهذه البنت، والآية أين أنزلت؟ (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)[الحج: 27] يعني على أرجلهم، وضامر: يعني ركبانًا، إذن الآية مختلفة تمامًا!

يعني لما تكون أنت ما تفهم اللغة العربية تصير تألف في كلام الله عزّ وجلّ في غير كلامه، ومثله لما قال الله :( وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) [النساء: 3] يأتيك أحدهم فيقول الله أحلّ تسع، طيب من أين؟ قال: مثنى وثلاث ورباع يعني اثنان + ثلاثة + أربعة = تسعة! فيأتي القرطبي ويتكلم عن هذه الكلمة في تفسيره ويقول: "هذا مما يستقبح فإن العرب لا تقول ائتني بأربعة ستة ثمانية إذا كان يريد أن يقول ائتني بثمانية عشر" لما يكون اللسان فيه عجمة نحن نفهم القرآن بهذه العجمة، إذن ما هو بالهوى أن نفسر القرآن بهذه الطريقة.

3-<u>لابد أن نرجع للقواعد والأصول.</u> وهذا باب كبير لن نستفيض فيه، لكن دعوني أعطيكم مثالًا واحدًا: **أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**، هذه واحدة من القواعد وهي سهلة وبسيطة ونفهمها كلنا، ولكن علينا ألّا نقرأ القرآن من غير أن تكون عندنا هذه القواعد الأساسية.

فلما أنزلت آية التيمم نزلت على جيش محدد بأعداد محددة. لما عائشة رضي الله عنها فقدت القلادة فتوقف الجيش وصاروا يبحثون عنها وما كان عندهم ماء وجاء وقت الصلاة وهم ما زالوا يبحثون، فأنزلت هذه الآية وهي آية التيمم، لو جئنا طبقنا هذه القاعدة سنقول لا يا جماعة وأنتم على أي أساس تتيممون، هو أبيح لهم في ذاك الزمن فقط، في تلك المعركة فقط، لكن ما نأتي الآن ونقول بها! نحن نقول لا، عندنا قاعدة شرعية استنبطها الفقهاء والعلماء من سلف الأمة تقول: "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" لأن القرآن نَزَل إلى قيام الساعة، ما نزل فقط للصحابة هو نزل إلى قيام الساعة.

لماذا ثمة أناس لا يريدون فهم هذه القاعدة؟ وهناك أناس يقولون لا هو بخصوص السبب هو نزل لهم

لماذا؟ حتى لا يطبقون الأحكام، فلما نأتي ونقول :(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ)[المائدة: 38] يقولون يا جماعة نحن في القرن العشرين و أنتم تقطعون أيادي ما هذا التخلف؟ سيف وقطع يد؟ لا نقدر على فعل أشياء كهذه سجن ويكفي.

طيب والقرآن؟ الآية واضحة! ما قال: عاقبوهما كما ترون، قال الله: ( وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)[المائدة: 38] واضح النص القرآني، لا تستطيع أن تؤلف فيه على هواك!

يقولون لا العبرة بخصوص السبب وهذا أُنزل عليهم لأن العرب ما كانت عندهم سجون وما كانت عندهم شرطة ولا شيء من هذا، فمؤكد ما كان عندهم عقاب فكان قطع بالسيف وانتهى. طيب هل هكذا سنفهم؟ لا، ولذلك هذه السجون مليئة بالسارقين في العالم كله، فيقولون نسرق ثلاثة ملايين وكم سنسجن؟ شهر شهرين ثلاث سنين؟ على كل مليون سنة وبعدها أخرج!

ثمة صفقات تحصل، عندك مئة مليار خذها تحت الطاولة وتسجن عشر سنين. لكن يقول الواحد منهم أنا سأخرج بعد عشر سنين وآخذ المئة مليار فليس لدي مشكلة! لأنه يعرف أن يده لن تُقطع، لكن لو كنت أنا أعرف أنني لو فقط أخذت عشرة ريالات من هذه البيعة ممكن الجزاء يكون أن أفقد يدي، تتخيلون كم سيفكر هذا الإنسان قبل أن يفعلها؟! يعني لما نتكلم عن قاعدة بسيطة مثل هذه القاعدة نجدهم يحاربونها حتى لا تكون سببًا عليهم.

من القواعد أيضًا **أننا نرد المتشابه إلى المحكم**، فعندنا حكم معين فتقول لك هذا الحديث غريب، عائشة رضي الله عنها قالت كذا وأبو هريرة قال كذا فما فهمت، قولي لها: لا تفهمين الآن عندك آية محكمة في القرآن تقول لك كذا، فخذي بالذي في القرآن طيب، ولذلك لا تذهبي للمتشابه وتطيلين فيه، إذا كان عندك آية أو دليل محكم كوني عنده وردّي المتشابه إلى المحكم هذه قاعدة ثانية.

والقاعدة الأخيرة **أننا نجمع النصوص الواردة في الحكم المعين أو في الباب الواحد**. ولذلك لما يأتي أحد ويقول لك: الخمر ليس حرامًا، كيف؟ يقول: لأن الله عزّ وجلّ يقول :(لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ) [النساء: 43] يعني فقط تحددين لها أوقات وما تشربين الخمر في وقت الصلاة ،

لكن لو شربتِ بالليل خمس كاسات مثلًا هذه لا مشكلة فيها والدليل: (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ) [النساء: 43] إذن الحرام في مقربة الصلاة فقط. طيب واجمعي كل الأحاديث! هذه فقط أول آية نزلت في تحريم الخمر وكلنا نعرف أنها نزلت بالتدرج، وعندنا آية في الأخير يقول الله عزّ وجلّ: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)[المائدة: 91] يعني متى ستنتهون؟ هذه نص في التحريم، ما عاد هي قضية لا تقرب أو فاجتنبوه.

لذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع الآية قال: انتهينا انتهينا، وسُكبت الخمور في سكك المدينة.

إذن ما نأخذ القرآن مجتزأ، هم يعرفون أن الأغلب منّا لا يقرأ، وكثير منا أصلًا لو قرأت القرآن وختمته لا تستوعب ولا حافظة كل الأدلة في الباب الواحد، فيأتيك واحد من هؤلاء الكُتّاب أو الذين يسمون أنفسهم بمفكر إسلامي ويحضر لك آية واحدة، ويقول لك: انظري جائز! تقولين: نعم جائز، يا الله طلع الأمر جائز! وضُحك علينا طوال هذه السنين! طيب اجمعي الأحاديث كلها مع بعض وتأكدي أن الأدلة الثانية كلها تشرح بعضها البعض.

**هذا كله في كيف نفهم القرآن والسنة: نفهمها على وفق سلف الأمة، ونفهمها باللغة العربية التي جاءت بها، ونفهمها وفق القواعد والأصول التي جاءت بها ولا نفهمها كما يريد الواحد منا فقط.**

## في الختام هذه خمس نقاط مهمة:

1-<u>لا بد لنا نحن أن نرسّخ الحق في نفوسنا</u>. لا بد أن تعرفي الحق أين؟ لا تتركي نفسك لشبه خطّافة، ولا تتركي نفسك فقط يدخل لها أي شيء، نحن الآن معرَّضِين بدرجة كبيرة لأن نسمع أي شيء.

ولا تقولين أنا لن أقرأ كتب ولا أسمع أي شيء، أنتِ أصلا بمجرد تتبعك لمجموعة من الناس في وسائل التواصل في سناب أو تويتر، أحيانًا بمجرد كثرة الالتفات لهذه الأشياء الموجودة تجعل الواحد لاشعوريًا يبدأ يناقش مسائل شُبه وغيرها،

فنحن معرضين لهذه الدرجة من الانكشاف ومن المدخلات التي تدخل لنا يوميًا، في الماضي كنا لا نسمع حتى نلتقي بالناس ومنهم نعرف أخبار اليوم أو حتى قبل عدة سنوات كنا ننتظر الساعة التاسعة حتى نعرف أخبار العالم! الآن صرنا طوال الوقت في الخط وكلام ونقاشات وجدل وشُبه وهذا فكر وهذا رأي وهذا تجييش وهذا هاشتاق، وطوال الوقت ونحن تحت هذا النوع من الازعاج.

**إذن كيف تحمي نفسك؟** كيف تحافظ على نورك الداخلي، بألّا تتلطخ ولا تتلوث؟ وهذا مهم، أن تفهم أنت أن الحق عندك نورك، وأنك لو ما حافظت عليه سينطفئ، لذلك الله عزّ وجلّ : (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ)[الأنعام: 122]

سمى الله مَن لا يعرف كتابه ولا دينه بالميت وأنه حينما عرف كتاب الله وسنة نبيه وشرعه مثل الحي الذي يحيى، لهذا من المهم أن تحمي نورك. ابن القيم -رحمه الله- يقول :"**إن لا إله إلا الله في القلب لها نور، ونورها بحسب الإيمان وهي تموت من الشبهات أمامها بحسب ذلك النور**" كلما كان نورك أقوى، أحرق الشبهات أكثر. وكلما كان نورك ضعيف كنتِ أقرب ما تكونين إلى الإسفنجة؛ كل يوم لك رأي، وكل يوم لك مزاج وكل يوم متأثرة لأنك تتأثرين وما تشعرين،

إذن أول نقطة من المهم أن نرسخ هذا في النفوس، **والحق لا يترسّخ إلا عن طريق العلم الشرعي**، لذلك لو كانت عندك ساعة في اليوم فلا تبخلي على نفسك بهذا العلم، والإنسان لا بد أن يفقه نفسه، ما عدنا نحن في زمن نستطيع أن نركن فيه على إيماننا القديم، حتى إيمانك القديم يحارب الآن وقناعاتك ومبادئك.

السنة والكتاب يحتاجان إلى أناس أقوياء يدافعون عنهما لذلك تحتاجين إلى تثقيف نفسك في دين الله عزّ وجلّ من المنصات الصحيحة، وأن تعرفي لمن تسمعين وتقرأين، وتسألين هذا صح قبل أن تبدئي في اتباع أي شخص،

ولذلك من الأشياء المهمة ثمة برامج تدخلينها وهي موثوقة، وأنتِ عارفة بالتسلسل الخاص بها، ثمة برنامج الآن جميل كثير مشتركين فيه اسمه "البناء المنهجي" وهذا يبني الإنسان فيه بأكثر من شيء بالقرآن بالحديث بالسنة وباللغة العربية، وهو لا يأخذ منك أكثر من ساعة في اليوم، فكل الأشياء كل المقاطع ما تأخذ منك أكثر من ساعة ومختارة بدقة بحيث تستطعين بناء نفسك.

برامج مثل هذه مثل البناء المنهجي أو صناعة المحاور وغيرها برامج في قراءة كتب الصحيح، هذه البرامج تجعلك تعيدين الأحاديث التي كنا نسمعها مرة ثانية ويوضع لك معها معانيها وفوائدها، بحيث أنك تستقرين على الأقل، لأن ثمة شيء نؤمن به وكان قديم والآن تشعرين بأنه ضاع في هذا الزحام.

إذن المهم ألّا تبخل على نفسك على الأقل بساعة تتعلم فيها كتاب الله وسنة نبيه بعلم شرعي. تعرفين إنسان يعطي كتاب في العقيدة اذهبي واحضري هذا الدرس، تعرفين أناس يحفظون القرآن وتفسيره انضمي معهم، أنتِ تستطيعين قراءة كتاب تفسير الشيخ السعدي تفسير معاصر لكنه سهل ومفهوم وعلى وفق سلف الأمة.

ولذلك من المهم أن تبني نفسك هذا البناء لأنه لن يستقر الحق في النفوس دون علم شرعي، الحماس لوحده لا يكفي ومجرد أن نكون عاطفيين هذا لا يكفي، لكن لا بد من أن تبني نفسك وتحاولي انتقاء المدخلات التي تدخل إلى دماغك وبشدة، لأننا من حيث لا نشعر يوجد ألف مدخل في اليوم يدخل إلى دماغك، وأنتِ فقط انتبهي لنفسك، وانتبهي إلى الكم الهائل الذي تأخذينه، من تتابعين؟ لمن تسمعين؟ لمن تقرأين؟ ولاحظي كيف تتشكل قناعاتك من غير تفكير، وعندما تكثر قراءتك عن شيء معين أو ترداد جملة معينة بين الكل تصيرين ترددينها، وربما حتى أنتِ في يوم من الأيام لم تكوني مقتنعة بها.

2-ادعي الله عزّ وجلّ أن يسلمك من الفتن، ولا تظني أن الأمر سهل! لا يوجد إنسان فوق أن يضل أو يزيغ، قال الله عزّ وجلّ عن المؤمنين : (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) [آل عمران: 8] معناها أن الإنسان ممكن يُهتدى بهدي الله ثم يزيغ قلبه، وكلمة "يزيغ" تعني أن القلب كان مهتدي لسنوات ويعرف طريق الحق ثم زاغ عنه.

ولذلك واحدة من الأخوات كانت في يوم من الأيام على هداية في فترة من الفترات وكانت أخت خيّرة وممتازة. مات زوجها هلعت من هول المصيبة انخلع قلبها وما استطاعت تصبر من شدة حبها له، وصار عندها نوع من التسخط على القدر أو أي شيء يمت له بصلة، يقولون لها: أنتِ من مثلك نصبره؟ قالت: أعرف لكن لا يغني. المهم وصل فيها الحال إلى أن تركت الصلاة إلى أن تركت الصيام وتركت الحجاب. المهم لفت لفة طويلة، بعد ذلك كان هناك أحد من أصدقائها القدامى ظل معها يعمل عليها إلى أن عادت ولبست الحجاب وإلى أن عادت تصلي،

فبعدها لما رجعت للأمور الأساسية قالت: هل تعرفين ما الذي حدث لي أنا؟ أنا لما كنت في أول زمني وكنت على هداية الله، تقول أنا في عمري لم أفكر أنه من الممكن أن يصير فيّ شيء! في عمري ما فكرت أن النور الذي أعيش فيه من الممكن أن ينطفئ في يوم من الأيام أو الهداية من الممكن أن تسلب مني، ولا يمكن أن الشيطان يلعب بي، أنا أعرف كل شيء! ولم أكن أدعي "**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**" الدعاء بالثبات ما كنت أدعي فيه، لأنني لم أكن أشعر أنني أحتاجه، عقلي موجود وليس لي حاجة لأفعل هذا كله! تقول عرفت بعد هذه السنين أنني ركنت على نفسي وما دعيت الله بالثبات.

إذن من الأشياء المهمة أننا نسأل الله الثبات والسلامة من الفتن، ولا تتمني أن تلقي عدوًا ولا أن تلقي مثل ما لقي هؤلاء، ولا تضعي نفسك في موطن من الممكن أن تكون فيه هذه الحجج والجدل الكبير، وتقولين لا أنا عندي مخ وسأفكر وسأرد ثم تجدين نفسك انسحبتِ شيئًا فشيئًا، فيسأل الإنسان من ربه السلامة.

3-نصيحة النبي عليه الصلاة والسلام :(إياكم وإياهم). وهذه الكلمة معناها: احذروا من أن تسلموا أنفسكم لهم، قال الإمام مالك -رحمه الله-: "**أكلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله**" يعني كلامه ولغته جدلية ويفتح لك أبواب ويأتي لنا في الدين اتبعناه؟!

وهذا كلام منطقي لأن الشرع لو يتبع أهواء الناس، في كل سنة سيخرج لنا واحد جديد، كل فترة سيخرج لنا عالِم لا أدري من أين خرج، كل فترة سيخرج لك واحد بأحاديث وبأحكام جديدة، من عمر الدنيا نعرف أن هذا حرام، من أين تجيء أنت بهذا الكلام؟

ولا يعني أن هذا الإنسان يسلم عقله ولا يبحث، بالعكس اذهب وابحث عن الحق وخذ دينك عن علم ولا تسلمي عقلك لهؤلاء الذين يفتون في دين الله عزّ وجلّ بغير علم، قال عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله-: "**أيها الناس، إن ليس بعد نبيكم نبي ولا بعد كتابكم كتاب ولا بعد سنتكم سنة ولا بعد أمتكم أمة**"، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»[10] وفي رواية أخرى: « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي»[11] يعني كأنهم يتسابقون وكادت الساعة أن تسبق، معناها أن أمة محمد هي آخر الأمم ولا يغرك أن هذا الكلام من 1400 سنة لأن 1400 سنة لا تعني شيء في زمن تريليونات من السنين،

10() أخرجه البخاري، صحيح.

11() أخرجه أحمد، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

فلمّا تذهبين ويقال لك الأحافير والعصر الجليدي، لما يقولون لك بالسنين ما تستطيعين تتخيلين 500 ألف تريليون، فالآن من ذلك الزمن يقول النبي عليه الصلاة والسلام نحن في القرون الأخيرة، فيقول عمر بن عبدالعزيز: "**وليس بعد أمتكم أمة ألا وإن الحلال ما أحله الله إلى يوم القيامة، ألا وإن الحرام ما حرم الله إلى يوم القيامة**" والله قامت القيامة في 2030 كان بها، قامت القيامة 2050 كان بها، قامت في سنة 3000، قامت في سنة 5000 لا مشكلة، هو دين الله لن يتغير ولا تظنون أن ثمة أي دين جديد سيأتي،

نحن أمة محمد المفترض نحن نحافظ على هذا الدين لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[12] على من يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»"[13] وفي رواية عند الطبراني وغيره: " قَالُوا: وَمَا هِيَ تِلْكَ الْفُرْقَةُ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي» "

تريدين أن تعرفي أين الطريق الصحيح في سنة محمد صلى الله عليه وسلم، سنة الرحمة المهداة النبي عليه الصلاة والسلام، أمسكي بغرسه تلمّسي خطواته وستصلين، والصحابة بلّغوا دين النبي عليه الصلاة والسلام بلغوه بصدقه ووصل إلينا والدور علينا، نحن ماذا نفعل به؟ هل نوصله لمن بعدنا أو نكون من الناس الذين ساهموا في هذا الهدم، ولذلك لما يقول عمر بن عبدالعزيز "ألا وإن الحرام ما حرم الله إلى يوم القيامة" إذن لن يكون هناك حلال إلا ما أحله الله عزّ وجلّ، ولا حرام إلا ما حرمه الله ولن تختلف الأحكام، وسيضل أناس متمسكين بهدي النبي إلى قيام الساعة.

4-<u>احرص على أن تعمل بما علمت</u>. فلا تتكلم على العلم فقط، لا تتكلي على أنكِ حضرتِ أو سمعتِ فقط، أنتِ ما دورك؟ وأريدك فقط أن تتخيلي شيئًا واحدًا، إذا قامت القيامة وتقابلتِ مع الرسول عليه الصلاة والسلام وسألك بنفسه: ماذا فعلتِ لأمتي؟ ماذا كان دورك مع أمتي؟ أنتِ ماذا فعلتِ؟ ماذا فعلتِ من بعدي؟

لمّا نتخيل النبي عليه الصلاة والسلام الذي ينتظرنا بدعوته ولكل نبي دعوة وهو خبأ دعوته، ولما جاءه ملك الجبال ليخسف بقريش كلها لأنهم آذوا النبي عليه الصلاة والسلام قال: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [14] وخرجنا نحن من تلك الأصلاب، إذن هذا النبي ما ننسى أن نقول أننا عملنا بعملك وأننا استنا بسنتك وأننا يا رسول الله حافظنا عليها ما استطعنا، وأننا ما غيّرنا ولا بدلنا وأننا مضينا على هذا إلى أن قابلناك وسنقابلك على الحوض،

12() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.

13() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.

14() أخرجه مسلم، صحيح.

طيب هل يوجد فرق لمّا أنت تنتظر هذا الموعد مع النبي عليه الصلاة والسلام وتعرف أنه سيسألك ماذا فعلت أنت؟ إذن لا قيمة لهذا الكلام ولا لهذا العلم لو لم نعمل به، ولذلك أغلب هؤلاء الناس الذين يتحدثون وفق أهوائهم إنما هم أُناس يعلمون ولكنهم لا يعملون.

5-إذا عصيت فلا تبرّر. لو كتب الله عليك أن تعصي، وتلطخت وتلوثت وما استطعت أن تبعد نفسك عن الحرام وكتب عليك هذا الحرام وفعلته فلا تبرر معصيتك،

لا تقولي إن هذا الشيء حلال ولا تقولي إنه جائز ولا تجادلي بأنه عادي ولا شيء فيه وأصلًا لا تبرري الذنب ولا تبرري المعصية، ربما كسرة قلبك ورجفته بذنب أنتِ فعلتيه وأنتِ تعلمين أنكِ على خطأ أهون ألف مرة من أنك تفعلين الذنب وأنتِ تستبيحينه وأنتِ تحللينه لنفسك وتحللينه لغيرك، ولا يا جماعة افعلوه ولا عليكم من شيء وذنوبكم على رقبتي! وأنا أشعر أن ما فيها شيء، وتبدأ تتكلم في دين الله عزّ وجلّ بلا علم، إذن إذا عصيت فلا تبرر وإنما اعلم أنك على ذنب واسأل الله أن يغفر لك ويعفو عنك، **لكن لا تمت على ذنبك وأنت معاندٌ لله مجترئٌ عليه مستبيح لما حرّمه.**

هذه فقط طائفة في كيف نتعامل مع كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وفوق هذا كله قال الله عزّ وجلّ : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا )[المائدة: 3] إذن الله عزّ وجلّ رضى لنا هذا الإسلام دينًا، الله عزّ وجلّ أتم علينا هذه النعمة وأتم لنا هذا الدين، فلا يمكن لإنسان أن يقول في دينه مقالة أو يكتشف فيه شيئًا لم يخبرنا عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحابته من بعده، دورنا نحن أن نحافظ على هذا الدين كما وصلنا غضًا نقيًا كما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها